

الإسلام هو العلاج

المناسبة: ذكرى ميلاد الرسول الأكرم (ص) وحفيده الإمام الصادق (ع)

الزمان والمكان: 17 ربيع الأول 1421هـ - ق طهران

الحضور: كبار مسؤولي الدولة وضيوف أسبوع الوحدة وسفراء الدول الإسلامية

أبارك ذكرى ميلاد النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وميلاد الإمام جعفر الصادق (ع) لكافة مسلمي العالم، ولكل الأحرار وطلاب الحق، وللشعب الإيراني الشريف العظيم بوجه خاص، ولكم أيها الحضور المحترمون، وللمسؤولين الأفاضل، وللضيوف الأعزاء القادمين من شتى بقاع العالم، وسفراء الدول الإسلامية المحترمين.

الوجود المقدس للرسول(ص) محور الوحدة الإسلامية

لقد كان النبي الأكرم (ص) شخصية مثالية تحتل مكانها السامي في ذروة عالم الخليفة، سواء في الأبعاد التي بوسع البشر إدراكها، كالمعايير الإنسانية الشامخة، من قبيل العقل والتدبير والفتنة والكرم والرحمة والعفو والحزم وسواها، وسواء على نطاق الأبعاد التي لا يطالها الإدراك الإنساني، كالأبعاد التي تشير إلى تجلي الاسم الأعظم للحق تعالى في وجود النبي الأكرم ومنزلة قربه من الله المتعال، وهي من الصفات التي لا نسمع إلا بها ولا ندري إلا رسمها، ولا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله جل وعلا وأوليائه العظام.

كما أن رسالة هذا النبي العظيم هي من أسمى وأفضل الرسالات التي جاءت من أجل سعادة الإنسان، فهي رسالة التوحيد، ورسالة سمو المنزلة الإنسانية، ورسالة تكامل الوجود البشري.

ومع أن البشرية لم تستطع حتى الآن العمل بهذه الرسالة بشتى أبعادها على نطاق الحياة العملية، إلا أنها ستحقق ذلك يوماً ما طبقاً لحركة تعالى ورفي الإنسان.

إنها درجة الأوج والتعالي بالنسبة للبشر.

وعلى افتراض أنّ البشرية حيّة بفكرها وفهمها وإدراكها الإنساني السامي وعلمها وتوجّوها المطّرد نحو التقدّم والرسالة الإسلامية، فلا شكّ أنّ هذه الرسالة ستأخذ مجالها يوماً ما في عمق الحياة البشرية.

إنّ حقّانية الرسالة النبوية والتوحيد الإسلامي، والتعاليم الإسلامية من أجل الحياة، وطريق الإسلام من أجل سعادة وتقدّم الإنسان هي التي ستبلغ بالبشرية إلى تلك المكانة فتتلمس بأقدامها هذا الطريق الواضح والممهّد، وتخطو عليه في مسيرتها نحو التقدّم والتعالّي والتكامل.

إنّ المهم بالنسبة لنا نحن المسلمين أن ننمّي معرفتنا بالإسلام وبرسوله الأكرم، فإنّ التفارقة والتمزّق لمن أشد ما يعاني منه العالم الإسلامي في يومنا هذا، وإنّ محور الوحدة الإسلامية يمكن أن يكون هو الوجود المقدس للرسول (ص) الذي يؤمن به الجميع، والذي تتمحور حوله كافة المشاعر الإنسانية.

وهذه نقطة ليس لدينا ما هو أوضح ولا أشمل منها نحن المسلمين، حيث يؤمن كافة المسلمين بالرسول الأكرم (ص) فضلاً عن ذلك الرباط العاطفي والمعنوي الذي يؤلّف بين قلوب ومشاعر المسلمين التي تنبض بحبّها وولائها للنبي (ص)، وهو أفضل محور للوحدة.

مؤامرة دنيئة ومشؤومة

وإنه ليس من قبيل المصادفة أن نجد بأنّ القرون الوسطى قد أخذت تعيد نفسها في السنوات الأخيرة عندما كان المستشرقون يوجّهون إهاناتهم لشخصية الرسول الأكرم (ص) بواسطة تحليلاتهم المغرضة، وهو ما تجلّى في مؤلّفات وأقوال القساوسة المسيحيين في تلك الفترة، كما ظهر في أعمالهم الفنية، وبرز في منهج كتابة المستشرقين للتاريخ.

فها نحن نجد في هذا القرن المنصرم أنّ الشخصية المقدسة والمباركة للنبي الأكرم (ص) كانت هدفاً لسهام التشكيك وحملات الإهانة من قِبَل المستشرقين غير المسلمين في الغرب!

إنّ تلك الحقبة كانت قد طُويت منذ زمن طويل، ولكنهم عادوا إليها من جديد.

فبوسعنا أن نلاحظ في الأعوام الأخيرة أن هجمة صحافية وثقافية دنيئة ومشؤومة قد تحفّزت في أقطار العالم للنيل من شخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يمكن أن يكون أمراً محسوباً ومخططاً له، حيث أدركوا أنّ المسلمين جميعاً يلتفون حول النبي الأكرم (ص) وتهفوا له قلوبهم بالإيمان والحب والعشق، فأخذوا بالمساس من هذا المحور الوجودي.

واجب العلماء والمتقنين والكتاب الإسلاميين

ولهذا فإن على علماء الإسلام، والمتقنين المسلمين، والكتاب، والشعراء، والفنانين في شتى أنحاء العالم الإسلامي أن يكشفوا عن الصورة الحقيقية للنبي الأكرم (ص) أمام المسلمين وغير المسلمين، ويعملون بكل ما لديهم من جهد على تبيان أبعاد شخصيته الرفيعة، وهو ما من شأنه أن يساعد على تحقق وحدة الأمة الإسلامية وتساعد اليقظة التي نشاهدها اليوم في أوساط أجيال شباب الأمة المتطلّعين نحو الإسلام.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء! إنّ العالم الإسلامي اليوم في أمسّ الحاجة للتعرفّ على مباني وحقائق الإسلام والاقتراب منها أكثر مما سبق، وإنّ الطريق ممهد اليوم أمام الحركة الإسلامية في كافة أنحاء عالم الإسلام، كما أنّ إدراك حقيقة التوحيد الإسلامي أمر غير عسير اليوم في مقابل الفساد الذي مُني به العالم الغربي.

وإنّ اليوم هو ذلك اليوم الذي يجب فيه على العلماء والمفكرين والمسلمين أن يبذلوا ما بوسعهم من تحرّك وسعي لإيقاف الأفتدة على حقيقة الإسلام وهداية الأمة الإسلامية نحو مجالات الإحياء والتجديد التي بات طريقها ممهداً والحمد لله، وبرزت نماذجها في أصقاع العالم، وتجسّدت أمثلتها البارزة في بلدنا هذا على يد أبناء الشعب الإيراني العظيم متحقّقة في إقامة نظام الجمهورية الإسلامية.

إخلاص النية مع الله حلفيها النصر والتوفيق

إننا كلّما تعاملنا بصدق وإخلاص مع الإسلام وحقائقه وأدينا ما فرضه علينا من واجبات، كلّما كان التوفيق والنصر الإلهي من نصيبنا؛ وهو ما شاهدناه في قضايا العالم الإسلامي، وجربناه بأنفسنا على نطاق قضايانا الداخلية في بلدنا هذا.

إنّ ما تشاهدونه من النصر الذي استطاع الشباب المؤمن في لبنان تحقيقه لأنفسهم وللأمة الإسلامية والعربية لم يكن إلّا في ظل الإسلام، وظل المعرفة بالإسلام، والعمل بالأحكام الإسلامية في هذا المجال.

لقد كان الأمر هكذا دائماً، ولن يتأتّى علاج الآلام الشديدة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولن يندمل جرحها العميق — أي مشكلة فلسطين — إلّا بهذا الشكل، فلا يظنّ أحد أنّ قضية فلسطين قد ذهبت في طيّ النسيان، أو أنّ الشعب الفلسطيني قد انتهى أمره، أو أنّ المشكلة الفلسطينية قد دفنت تحت أنقاض هذه الضجّة والضوضاء! فهذا خطأ ووهم باطل.

إنّ مرور الزمان ليس بإمكانه أن يزيل حقاً — كحق الشعب الفلسطيني — من دفتر الوجود، فالشعب الفلسطيني حيّ، وفلسطين قائمة، ومستقبل فلسطين من الوضوح بمكان.

إنكم تلاحظون أنّ عدداً من البلدان — في آسيا الوسطى وفي منطقة البلقان — ظلّت خاضعة للنفوذ السوفيتي على مدى خمسين عاماً، وبعضها طوال سبعين عاماً، ولم يكن أحد يظن بأنّ تلك البلدان ستسترد هويتها مرّة أخرى، ولكن هذا هو ما حدث! لقد كان الإتحاد السوفيتي يبدو قوة لا منافس لها ولا مجال لاضمحلالها يوماً ما، وكان بعض السطحيين يعتقد بأنّ قضية تلك البلدان التي دمجها الاتحاد السوفيتي وأخضعها لسيطرته قد انتهت إلى الأبد، ولكن الواقع كان خلاف ذلك.

فهكذا الأمر بالنسبة لفلسطين، إنّ فلسطين لن تزول، وإنّ فلسطين لن تُمحي من على أطلس العالم!

وكما حدث في جنوب لبنان الذي لم يكن ليزول، حيث كان الصهاينة قد جاءوا ليبقوا فيه لا لينسحبوا منه، ولكنهم اضطرّوا للتقهقر والانسحاب، تحت ضغوط الجهاد والصبر والاستقامة التي تحلّى بها الشعب والشباب المسلم في لبنان طوال عشرين عاماً؛ مما ضيق الخناق على العدو، فإنّ هذا الأمر يصدق بحذافيره على قضية فلسطين.

إنّ مقاومة الشعب المسلم والتمسك بالإسلام بإمكانه لغو هذه الخارطة المزيّفة والكاذبة المرسومة اليوم، وإعادة رسم الخريطة الحقيقية — خريطة فلسطين — والعودة بالشعب الفلسطيني مرّة أخرى إلى وطنه، وهذا ممكن بفضل الله.

إنّ الكثير من الأمور التي تبدو عسيرة وشاقّة للعيان اليوم ستغدو طيّعة ويسيرة في ظل المعرفة بالإسلام والعمل بمبادئه، وسيكون من الممكن تحقيقها على نطاق الواقع، وسنرى كيف أنها لم تكن شاقّة ولم تكن غير عملية كما كان يتصوّر البعض.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب اليقظة للأمة الإسلامية، وأن يمنّ علينا بأن نقدّر الإسلام والقرآن والرسول الأكرم (ص) حق قدره، وأن نتبدّل الاختلافات والثنائيات إلى وحدة وتآلف بين المسلمين، وأن نبلغ جميعاً وكافة الأمة الإسلامية ما رسمه الإسلام لأمته وللبشرية جمعاء من أهداف سامية، وذلك في ظل الألفاف الإلهية والأدعية الزاكية لبقية الله (أرواحنا فداه).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.